

الباب الأول شعراء الفصحى

•• تمهيد :

سيدة القصيدة العربية :

•• الفصل الأول :

شعراء من التراث

•• الفصل الثانى :

شعراء معاصرون من
البلاد العربية والإسلامية

•• الفصل الثالث :

شعراء معاصرون من مصر

سيدة القصيدة العربية !

تعتبر سيدة الغناء العربى أم كلثوم فى طليعة الفنانين الذين ارتبطوا باللغة العربية الفصحى منذ صغرها .. هذا الارتباط بلا شك قد قواه وشد من أزره نشأتها الدينية الأولى فى أحضان ريف مصر وطريقة تلقيها التعليم الدينى فى كتاب القرية إلى جانب حضورها حلقات الذكر والإنشاد الدينى وتلاوة القرآن الكريم الذى كان يجيده والدها الشيخ إبراهيم البلتاجى .

ليس هذا فقط .. بل ونستطيع أن نؤكد فى السياق نفسه أن أم كلثوم فى هذه الخصوصية تعتبر الفنانة غير المسبوقة - سواء فى العصر الحديث أو فى غيره من العصور - التى غنت القصائد العربية بهذا الكم الكبير، مما جعلها تسهم مساهمة كبيرة فى الترويج لهذا النوع من الأدب العربى الراقى . وكان اختيارها دائماً لقصائد كبار الشعراء العرب سواء من القدامى أو المعاصرين خير دليل على ذلك .

والأمر المثير للدهشة أن أم كلثوم تلك الفتاة الريفية التى كانت فى بداية مشوارها الفنى مع مطلع العشرينيات لا زالت تحبو .. قد أقبلت إقبالاً كبيراً على التغنى بقصائد الشعراء العرب، رغم إمكانياتها المتواضعة آنذاك .. سواء من حيث الألحان أو من حيث مساحة جمهورها .

وقد يكون لارتباطها المبكر ببعض الملحنين المشهورين من الذين أحبوا الشعر العربى من أمثال الشيخ أبو العلا محمد علاقة أخرى بتلك البداية القوية . إذ تبين لنا ولغيرنا من المؤرخين أن معظم ما غنته أم كلثوم من قصائد عظيمة للشعراء العرب القدامى ، قد تغنى بها من قبل الشيخ أبو العلا محمد نفسه .

وحتى من بعد هذه المرحلة، فقد ظلت أم كلثوم على ولائها غير المسبوق للشعر

العربي الفصيح، إذا أخذت على عاتقها وبصوتها الترويج لتلك النوعية من القصائد العربية والأشعار المشهورة، ليس فقط داخل النطاق المحلي حيث يتواجد الشعراء المصريون، بل نجدها قد أفسحت مجالاً أوسع حين استعانت بالعشرات من الشعراء العرب في مختلف الدول العربية .. بل والإسلامية كذلك.

ولقد كان الشاعر العربي الكبير أبو فراس الحمداني من أوائل الشعراء العرب الذين تغنت بكلماتهم سيدة القصيدة العربية .. حين قدمت له في عام ١٩٢٦ جزءاً من قصيدته المشهورة «أراك عصي الدمع» ومن كثرة إعجاب أم كلثوم بهذه القصيدة، وبهذا الشاعر، فقد تغنت بها أكثر من مرة وبأكثر من لحن!!

كما كان لأم كلثوم في الوقت نفسه تجارب أخرى عديدة مع قصائد أخرى لكبار الشعراء العرب من الذين عاشوا خلال العصر العباسي سواء الأول أو الثاني. من أمثال الشريف الرضي الذي غنت له أم كلثوم جزءاً من قصيدته «أيها الرائح المجد» وهي من تلحين الشيخ زكريا أحمد في فيلم «دنائير» عام ١٩٣٥، وكذلك الشاعر العباسي المشهور العباس بن الأحنف الذي غنت له جزءاً من قصيدته «يا بعيد الدار» من ألحان محمد القصبجي في فيلم «نشيد الأمل».

كما غنت أم كلثوم للشاعر صفى الدين الحلبي قصيدة «مثل الغزال نظرة» من تلحين الشيخ أبو العلا محمد في عام ١٩٣١. وقصيدة «أفديه إن حفظ الهوى» للشاعر المصري ابن النبيه وهي من ألحان الشيخ أبو العلا محمد أيضاً في عام ١٩٢٨ كما غنت للشاعر نفسه قصيدة أخرى بعنوان «أمانا أيها القمر المطل» من ألحان الشيخ أبو العلا أيضاً.

ويعتبر الشاعر الصعلوك ابن النطاح الحنفي الذي كان مشهوراً بلقب «أبووائل» من الشعراء العباسيين الذين غنت لهم سيدة القصيدة العربية أم كلثوم إحدى قصائد ديوانه والمعروفة بعنوان «أكذب نفسي»، وهي كذلك من ألحان الشيخ أبو العلا، وقد غنتها في عام ١٩٣١.

ولم يكن الشاعر العربي الفارسي المشهور عمر الخيام ببعيد عن صوت أم كلثوم إذ غنت له أشهر أشعاره وهي المعروفة بالرباعيات من ترجمة وصياغة الشاعر أحمد رامى.

وبإحصاء بسيط.. يتضح لنا أن كوكب الشرق أم كلثوم قد غنت لسبعة من فحول الشعراء العرب خاصة شعراء العصر العباسى الذى تميز بالرقّة والغزل سواء فى أسلوبه أو موضوعاته. كما بلغ مجموع ما غنته هذه الفنانة العظيمة لهؤلاء الشعراء حوالى تسع قصائد..

وتؤكد الدكتورة رتيبة الحفنى أن أم كلثوم قد غنت هذه القصائد منذ بداية مشوارها الفنى فى طفولتها.. وقد تعلمتها عن طريق استماعها لفونوغراف العمدة ، كما حفظت بعض القصائد من والدها الذى كان يحرص على تقديم القصيدة ضمن أغاني حفلاته، وكان أستاذ أم كلثوم الأول فى هذا الميدان المطرب والملحن «الشيخ أبو العلا محمد» الذى التقى بها فى قريتها طماى الزهايرة قبل بدء حياتها الفنية فى القاهرة^(١).

وتؤكد الدكتورة رتيبة أن هذه القصائد لم تكن ملحنة لصوت أم كلثوم، ولكنها أخذتها عن الشيخ أبو العلا ومن تسجيلاته حيث كان قد غناها من قبل بصوته.

كما يؤكد الناقد الفنى الراحل كمال النجمى فى السياق نفسه أن سيدة الغناء العربى قد تعلمت فن غناء القصائد من هذا الملحن العبقري خلال السنوات الخمس التى صاحبه فيها من قبل رحيله.. وهذه القصائد لم يكن فيها لحن واحد صنعه أبو العلا لأم كلثوم بالذات، فهذه القصائد كلها غناها بصوته وسجلها على اسطوانات، ثم أعادت غنائها أم كلثوم.

وأشار كمال النجمى كذلك إلى أن أم كلثوم لم تتمكن من تسجيل سوى ست قصائد فى حياة الشيخ أبو العلا، وبعد وفاته سجلت بقية هذه القصائد^(٢).

وحين نترك مجال القصائد العربية القديمة التى شددت بها كوكب الشرق.. لننتقل معها إلى شعراء العصر الحديث، نجد أن هذه الفنانة العظيمة قد واصلت نفس المشوار فى الإقبال على غناء قصائد الشعر العربى، ولكن بتميز أكثر وبراعة غير مسبوقه، وقد وصل مفهومها القومى نحو هذه الغاية حدًا لم يلتفت إليه فنان غيرها فى عصرها.. إذ لم تقصر جهودها فى مجال الترويج للشعر العربى الحديث على مفهوم المحلية المصرية فقط.. بل

(١) أم كلثوم - د. رتيبة الحفنى.

(٢) تراث الغناء العربى - كمال النجمى.

اتسع نطاق اهتماماتها فى هذا السياق ليشمل شعراء معاصرين من البلاد العربية والإسلامية .

ولسوف نتعجب حين نعرف أن عدد الشعراء المعاصرين من الذين تعاملت مع قصائدهم وكلماتهم أم كلثوم خلال الفترة الحديثة من مشوار حياتها، قد بلغ واحداً وعشرين شاعراً .. منهم سبعة شعراء من البلاد العربية والإسلامية من أمثال الأمير عبد الله الفيصل شاعر السعودية المشهور ونزار قباني الشاعر السورى المعروف - وجورج جرداق من لبنان والهادى آدم من السودان .. وكل من على أحمد باكثير ومحمد إقبال وقد غنت أم كلثوم لهؤلاء الشعراء أكثر من عشر قصائد عاطفية ووطنية ودينية .

وأما الشعراء المصريين المعاصرين فقد بلغوا أربعة عشرة شاعراً .. من أبرزهم أحمد شوقى أمير الشعراء وحافظ إبراهيم شاعر النيل وكل من على الجارم وإبراهيم ناجى وعزيز أباطة وطاهر أبو فاشا وآخرين ، كما بلغ ما غنته أم كلثوم من قصائد لهؤلاء الشعراء حوالى مائة قصيدة أو أكثر .

ونفس هذا الجهد الفنى المتألق والذى يعود فيه الفضل لأم كلثوم .. قد ظهر جلياً فى ميدان قصائد شعراء العامية .. الذين قدموا العشرات من أعمالهم الفنية الجميلة مكتوبة لكى تشدو بها كوكب الشرق .. وكأنما كان صوتها الشجى وتفردته فى كل شىء هو الحافز الكبير لتقديم تلك الإبداعات الشعرية الجميلة، والدليل لدينا موجود بيننا الآن، حيث لم نعد نسمع أو نقرأ مثل هذه الكلمات سواء فى مجال شعراء الفصحى أو العامية !

وكان لأم كلثوم فى هذا الميدان الجديد دور بارز فى الترويج لشعر العامية سواء بالنسبة للشعراء الهواة أو المحترفين . ولسوف نتعجب حين نعرف أن الموسيقار كامل الخلعى كان على رأس هؤلاء الشعراء من الذين كتبوا أغنية واثنين لأم كلثوم .. بل وكان بديع خيرى الكاتب المسرحى المشهور قد قدم كذلك لأم كلثوم أكثر من أغنية لكى تشدو بها . وقس على ذلك ما قدمه الشاعر مصطفى نجيب والد الفنان سليمان نجيب وغيره من شعراء وزجالى هذا العصر .

وأما على مستوى الاحتراف ، فقد قدمت كوكب الشرق للساحة الأدبية والفنية العديد

من الشعراء من الذين كان لصوت أم كلثوم الفضل الأكبر في إظهار مواهبهم وبشكل غير مسبوق، ولعل وجود شاعرين كبيرين مثل أحمد رامى وبيرم التونسي على رأس هؤلاء وضمن القائمة الطويلة .. يثبت ذلك وأكثر.

وحيث يتدخل مقياس الحساب لمعرفة عدد الذين غنت لهم أم كلثوم من شعراء العامية نجد أن عدد الهواة من هؤلاء قد بلغ تسعة شعراء .. وقد غنت لهم حوالى عشر أغنيات ما بين دور وموشح وطقطوقة .. أما الشعراء المحترفون فقد بلغ عددهم أيضاً تسعة شعراء من الذين قدموا لأم كلثوم الكم الأكبر من أغنياتها المشهورة على مدى مشوارها الفنى الطويل .. وكان من أشهر هؤلاء بخلاف كل من بيرم ورامى، صلاح جاهين ومرسى جميل عزيز وأحمد شفيق كامل وعبدالوهاب محمد وعبد الفتاح مصطفى، ومأمون الشناوى.